# بـاب

قال أبو العباس: لمَّا احْتُضِرَ إبراهيمُ النَّخَعِيُّ رحمه الله جَزِعَ جَزَعاً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: وأيُّ خَطَرٍ أعظمُ[1]؟ إنّمَا أَتَوَقَّعُ رسولاً يَرِدُ عليَّ من ربِّي، إما بالجنةِ وإما بالنارِ.

ولما احتُضِرَ ابنُ سيرينَ جعلَ يقولُ: نفسِي والله أَعَزُّ الأَنْفُسِ عليَّ.

ولما احتُضِرَ حُجْرُ بنُ عدِيٍّ ليُقْتَلَ سأَلَ أن يُمْهَلَ حتى يصلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وظهرَ منه جَزَعٌ شديدٌ، فقال له قائلٌ: أَتَجْزَعُ؟! فقال: وكيف لا أَجْزَعُ؟ سيفٌ مشهورٌ، وكفنٌ منشورٌ، وقبرٌ محفورٌ، ولستُ أَدرِي أَيُؤَدِّيني[2] إلى جنةٍ، أم إلى نارٍ. [قال أبو الحسن[3]: ما يقومُ بقتلِ حُجْرِ بنِ عدِيّ شيءٌ، وإني لأَعْجَبُ من قوله هذا: «ولستُ أدرِي أيُدْنِيني إلى جنةٍ أو إلى نار» وهو شهيدُ الشهداءِ! رحمه الله] وقد ذكرنا[4] موتَ عَمْرِو بنِ العاصِي وكلامَه عند الموت.

***

وممن ظَهَرَتْ منه عند الموت قَسْوةٌ: حَلْحَلةُ الفَزَارِيُّ، وسعيدُ بنُ أَبَانَ بنِ

---

(١) زاد في أ: «من هذا». والخبر في التعازي والمراثي ١٣٢ وفيه: «أعظم مما أنا فيه».

(٢) في ب: أيدنيني. وفي س: أبراح بي.

(٣) قول أبي الحسن من ب.

(٤) انظر ص ٣٤٧.

عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفزَارِيُّ؛ فإنَّ عبدَ المَلك لمَّا أحضرَهما ليُقِيدَ منهما قال لحلحلةَ: صَبْراً حَلْحَل! فقال إي والله.

أَصْبَـرُ مِنْ ذِي ضَـاغِطٍ عَـرَكْـرَكِ  أَلْـقَىٰ بَـوَانِـي زَوْرِهِ لِـلْمَـبْـرَكِ[1]

ثم قال لابنِ [١/٢٩٥] الأسودِ[2] الكَلْبِيِّ: أَجِدِ[3] الضَّرْبَةَ، فإني والله ضَرَبْتُ أباكَ ضربةً أَسْلَحَتْهُ فعددتُ النُّجومَ في سَلْحَتِهِ! ثم قال عبدُ الملك لسَعيدِ بن أَبَانَ: صبراً سعيدُ! فقال[4]:

أَصْبَرُ مِن عَـوْدٍ بِجَنْبَيْـهِ الجُلَـبْ  قـد أَثَّـرَ البِـطَانُ فيـه والحَقَبْ[5]

ومنهم وكيعُ بنُ أَبِي سُودٍ[6]، أحدُ بني غُدَانَةَ بنِ يَرْبُوعٍ، فإنَّه لما يُئِسَ منه خرجَ الطبيبُ من عنده، فقال له محمدٌ ابنُه: ما تقولُ؟ قال: لا يُصَلِّي الظُّهْرَ،

---

(١) قال الشيخ المرصفي: «يريد من بعير ذي ضاغط، والضاغط أن يتحرك مرفق البعير حتى يقع في جنبه فيخرقه وعن أبي عبيد: هو انفتاق في الإبط. وعركرك: به أثر من العرك وهو أن يعرك البعير جنبه بمرفقه فيؤثر فيه. وبواني زوره: أضلاعه الواحدة بانية، وزوره صدره». رغبة الآمل ٨/٢٣٧.

وقوله «أصبر من ذي ضاغط» ذهب مثلاً، انظر أمثال أبي أعبيد ٣٦٩، وفصل المقال ٤٩٨ ـ ٤٩٩، والدرة الفاخرة ١/٢٦٩، وجمهرة الأمثال ١/٥٨٧ ومجمع الأمثال ١/٤٠٩، والمستقصى ١/٢٠٢.

(٢) قال المرصفي: «صوابه لابن سويد، قال بعض بني عبد ودّ:

نحن قتلنا سيديهم بشيخنا  سويد فما كانا وفاء به دما»

رغبة الآمل ٨/٢٣٧. وانظر الأغاني ١٩/٢٠٤ ـ ٢٠٦، وفصل المقال.

(٣) في الأصل: أجدّ.

(٤) زاد في أ: «إي والله».

(٥) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: الجُلْبة قشرةٌ تركب الجرح عند البرء، والجميع جُلَب».

وقوله «أصبر من عود بدفيه الجلب» ذهب مثلاً، انظر أمثال أبي عبيد ٣٧٠، وفصل المقال ٤٩٨ ـ ٤٩٩، والدرة الفاخرة ١/٢٦٩، وجمهرة الأمثال ١/٥٨٧، ومجمع الأمثال ١/٤٠٨، والمستقصى ١/٢٠٣.

(٦) قال الشيخ المرصفي: «هو كما ذكره ابن حزم في كتابه جمهرة النسب [ص: ٢٢٦] وكيع بن حسان بن قيس ابن أبي سود بن كلب بن غدانة بن يربوع قاتل قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان» رغبة الآمل ٨/٢٣٧.

[ ٧٦٤ ] وكان محمدٌ ناسكاً، فدخلَ إلى أبيه، فقال له وكيع[١]: ما قال لك المَعْلُوجُ[٢]؟ قال: وَعَدَ أنك تَبْرَأُ، قال: أسألُك بحقّي عليكَ؟ قال: ذَكَرَ أنكَ لا تصلّي الظهرَ، قال: وَيْلِي على ابنِ الخَبِيثَةِ! والله لو كانتْ في شِدْقِي لَلُكْتُهَا إلى العَصْرِ!!

ويُرْوَى أنَّ إبراهيمَ النَّخَعِيَّ قال في الحديثِ الذي ذكرناه: والله لَوَدِدْتُ أنها تَلَجْلَجُ في حَلْقِي إلى يومِ القيامة! وفي وَكيعِ بنِ أبي سُودٍ يقولُ الفَرَزْدَقُ[٣]:

لقد رُزِئَتْ بأساً وحَزْماً وسُودَداً ... تَميمُ بنُ مُرٍّ يومَ ماتَ وَكِيعُ
وما كان وَقَّافاً وَكِيعٌ إذا دَنَتْ ... سَحَائِبُ مَوْتٍ وَبْلُهُنَّ نَجِيعُ
إذَا ٱلْتَقَتِ الأبطالُ أَبْصَرْتَ لَوْنَهُ ... مُضِيئاً وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ
فصبراً تَمِيمٌ إنَّما الموتُ مَنْهَلٌ ... يَصِيرُ إليه صابِرٌ وجَزُوعُ

وقال أيضاً[٤]:

لِتَبْكِ وَكِيعاً خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرةٌ ... تَسَاقَى المَنَايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
لَقُوا مِثْلَهُم فَٱسْتَهْزَمُوهم بدَعْوَةٍ ... دَعَوْها وكيعاً والجِيادُ بهم تَجْرِي

***

ومن الجُفَاةِ عندَ الموتِ هُدْبَةُ بنُ خَشْرَمٍ العُذْرِيُّ، وكان قَتَلَ زِيَادَةَ بنَ زيدٍ العُذْوِيَّ، فلما حُمِلَ إلى معاويةَ تقدَّم معه عبدُ الرحمنِ أَخُو زيادةَ[٥]، فادَّعى عليه، فقال له معاويةُ: ما تقولُ؟ قال: أتحبُّ أن يكونَ الجوابُ شعراً أم نثراً؟

---

(١) في أ: فقال له أبوه وكيع.

(٢) يريد العِلْجَ. ولا أعرف أحداً ذكر المعلوج. ولعله لما رآهم يقولون «المعلوجاء» لجماعة العلوج ظنّ أن الواحد «معلوج»، وليس كذلك، قال سيبويه: «واعلم أن العرب يقولون: قوم مَعْلوجاءُ وقوم مشيخةٌ ومشيوخاء، يجعلونه صفة بمنزلة شيوخ وعلوج». الكتاب ١/٢٣٤. وانظر اللسان (علج).

(٣) ديوانه ١/٤٠٩. وفي ب و د و ي و هـ: وفي وكيعٍ يقول الفرزدق.

(٤) ديوانه ١/٢٠٢.

(٥) في أ: زيادة بن زيد.

قال: بل شعراً فإنَّه أَمْتَعُ، فقال هُدْبَةُ[1]:

فلمَّا رأيتُ أنَّما هِيَ ضَرْبَةٌ ... مِنَ السيفِ أو إغْضاءُ عَيْن على وِتْرِ
عَمَدْتُ لِأَمْرٍ لا يُعَيِّرُ[2] والِدِي ... خَزَايَتُهُ ولا يُسَبُّ بِه قبرِي[3]
رُمِينَا فَرَامَيْنَا فصادَفَ سَهْمُنا ... مَنِيَّةَ نَفْسٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ [٧٦٥]
وأنت أميرُ المؤمنين فما لَنَا ... وراءَكَ من مَعْدًى ولا عنك مِنْ قَصْرِ
فإن تَكُ في أَمْوالِنا لا نَضِقْ بها ... ذِراعاً، وإن صَبْرٌ فنَصْبِرُ للصَّبْرِ[4]

فقال له معاويةُ: أَرَاكَ قد أَقْرَرْتَ يا هدبةُ! قال: هو ذاك، فقال: عبدُ الرحمن: أَقِدْنِي، فَكَرِهَ ذاكَ[5] معاويةُ وضَنَّ بهُدْبَةَ عنِ القَتْلِ، وكان ابنُ زيادةَ صغيراً، فقال له [٢/٢٩٥] معاويةُ: وما[6] عليكَ أَنْ تَشْفِيَ صَدْرَكَ وتَحْرِمَ غيرَك! ثم وَجَّهَ به إلى المدينة فقال: يُحْبَسُ إلى أن يَبْلُغ ابنُ زِيادَةَ! فَبَلَغَ وكان[7] والِي المدينةِ[8] سعيدَ بنَ العاصِي، فممَّا وُقِفَ عليه من قَسْوَتِهِ قولُه[9]:

---

(١) شعره ق ٢١/٩ ـ ١٣ ص ٩٧ ـ ٩٨.
(٢) في الأصل و ي: لا تعيّر.
(٣) بهامش أ ما نصّه: «قال ثعلب. عَمَدْتُ الشيءَ أعْمِدُ: إذا قَصَدْتَ إليه. الخَزايةُ: الاستحياءُ، وقال الخليلُ: الخَزاية: شدّةُ الاستحياء.
يقول: لا يأنف منه ولا يخزى. وقال ابن دريد: خَزِي الرجلُ يخزى خَزايةً: إذا استحيا، فهو خزيان» اهـ. وانظر الجمهرة ٢١٩/٢.
(٤) في ب و س و ف و ي: «لا تضق». وفي الأصل و ف و هـ: «وإن صبراً». وهذا البيت من شواهد الكتاب ١٣١/١ وأنشده عن يونس بالرفع ثم قال عقبه: «والنصب فيه جيد بالغ».
(٥) في ب و س و د و ف و هـ: ذلك.
(٦) في أ: أوما.
(٧) من أ وحدها.
(٨) زاد في د: يومئذٍ.
(٩) شعره ق ٢٢/١ ـ ٢ ص ٩٩.

ولمَّا دخلتُ السِّجنَ يا أُمَّ مالكٍ ذكرتُكِ والأطرافُ في حَلَقٍ سُمْرِ
وعندَ سعيدٍ غيرَ أنْ لم أَبُحْ بهِ ذكرتُكِ إنَّ الأمرَ يَعْرِضُ لِلأَمْرِ[1]

فسُئِلَ عن هذا القول[2]، فقال: لمَّا رأيتُ ثَغْرَ سعيدٍ ـ وكان سعيد حسنَ الثغرِ جدّاً ـ ذَكَرْتُ به ثَغْرَها! ويقال إنه عُرِضَ على ابنِ زيادةَ عَشْرُ دِياتٍ فأبَىٰ إلاَّ القَوَدَ، وكان مِمَّن عَرَضَ الدياتِ عليه[3] ممن ذُكِرَ لنا: الحسينُ بنُ عليّ بن أبي طالبٍ[4]، وعبدُ الله بنُ جعفرٍ، عليهما السلام، وسعيدُ بنُ العاصي، ومَرْوَانُ بنُ الحكَمِ، وسائرُ القومِ من قريشٍ والأنصارِ، فلما خُرِجَ به ليُقادَ بالحَرَّةِ جَعَلَ يُنْشِدُ الأشعارَ، فقالتْ له حُبَّىٰ المَدَنِيَّةُ[5]: ما رأيتُ أَقْسَىٰ قلباً منك، أَتُنْشِدُ الأَشْعَارَ وأنتَ يُمْضَىٰ بك لتُقْتَلَ، وهذه خَلْفَكَ كأنها ظَبْيٌ عَطْشانُ تُوَلْوِلُ؟! تَعْني امرأتَه، فوقَفَ ووقفَ الناسُ معه، فأقبلَ على حُبَّىٰ فقال[6]:

ما وَجَدَتْ وَجْدِي بها أُمُّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّىٰ بابنِ أُمِّ كِلَابِ
[٧٦٦] رأتْهُ طويلَ السَّاعِدَيْن شَمَرْدَلاً كما ٱنْتَعَتَتْ[7] من قُوَّةٍ وشَبَابِ

فأغلقتْ حُبَّىٰ البابَ في وجهه وسَبَّتْهُ، وعرَضَ له عبدُ الرحمن بن حَسَّانَ، فقال له[8]: أَنْشِدْني، فقال له: أَعَلَىٰ هذه الحال؟! قال: نعم، فأنشدَه[9]:

---

(١) في أ: إنَّ الأمر يذكر بالأمر. وبهامشها كما في المتن.
(٢) ليس في أ و هـ.
(٣) في الأصل و ف و ظ و س: عليه الديات.
(٤) في أ: الحسين بن عليٍّ.
(٥) في أ و س و هـ و ف: المدينية.
(٦) شعره ق ٨/١ ـ ٢ ص ٧٣.
(٧) في ب و د و ف و ظ وهامش الأصل: «انبعثت»، ولعله تصحيف.
وانتعتت: نعتت.
(٨) ليس في أ و س و هـ.
(٩) شعره ق ٤/٣ ـ ٥ ص ٦٩ ـ ٧٠.

ولَسْتُ بِمِفْـرَاحٍ إذَا الدهـرُ سَرَّنِي ... ولا جـازعٍ من صَـرْفِـهِ المُتَقَلِّبِ
ولا أَتَبَغَّىٰ الشَّـرَّ والشَّـرُّ تـارِكِي ... ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أَرْكَبِ
وحَـرَّبَنِي مـولايَ حتَّى غَشِيتُـهُ[1] ... متى ما يُحَرِّبْكِ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ

فلما قُدِّمَ نَظَرَ إلى امرأتِه، فدخلتْه غَيْرةٌ، وقـد كان جُـدِعَ في حَرْبِهِمْ، فقال[2]:

فـإنْ يَـكُ أَنفِي بـانَ منـه جَمَـالُـهُ ... فما حَسَبِي في الصالحينَ بأَجْدَعَـا
فـلا تَنْكِحِي إنْ فَرَّقَ الـدهرُ بينَنـا ... أَغَمَّ القَفَـا والـوَجْـهِ ليس بـأَنْـزَعَـا

فقالت: قِفُوا عنه ساعةً، ثم مَضَتْ ورَجَعَتْ وقد آصْطَلَمَتْ أنفَها! فقالت: أهذَا فِعْلُ مَنْ له[3] في الرجالِ حاجةٌ! فقال: الآنَ طابَ[4] الموتُ، ثم أقبل على أَبَوَيْهِ فقال[5]:

أَبْلِيَـانِي الـيـومَ صَبْـراً مـنكـمـا ... إنَّ حُـزْنـاً منكمـا اليـومَ لَشَـرّ
مـا أظـنُّ الـمـوتَ إلَّا هَـيِّـنـاً ... إنَّ بعـدَ المـوتِ دارَ المُسْتَقَـرّ

ثم قال[6]:

أَذَا العَرْشِ[7] إنِّي عائِذٌ بكَ مُؤْمِنٌ [١/٢٩٦] مُـقِـرٌّ بـزَلَّاتِـي إليكَ فَقِيرُ
وإنِّـي وإنْ قـالـوا أَمِيـرٌ مُسَـلَّطٌ ... وحُجَّـابُ أبـوابٍ لَهُـنَّ صَـرِيـرُ
لَأَعْلَمُ أَنَّ الأمْـرَ أَمْـرُكَ إن تَـدِنْ ... فَـرَبٌّ وإنْ تَغْفِـرْ فـأنتَ غَفُـورُ

---

(١) في د و ي و ف و ظ: خشيته.
(٢) البيت الثاني في شعره ق ٦/٢٩ ص ١٠٥ وقد سلف ص ٤٠٧. والأول فيه ق ١/٣٢ ص ١١٠.
(٣) في س: لها.
(٤) زاد في الأصل: لي.
(٥) شعره ق ١/٢٣ ـ ٢ ص ١٠٠.
(٦) شعره ق ١/١٥، ٣، ٤ ص ٨٥.
(٧) في الأصل و ف و ظ و د و ي و هـ: «ذا العرش» بلا الهمزة.

ثمّ أقْبَل على ابن زيادة فقال[1]: أَثْبِتْ قَدَمَيْكَ، وأَجِدِ[2] الضَّرْبَةَ، فإنِّي أَيْتَمْتُكَ صغيراً، وأَرْمَلْتُ أمَّكَ شابَّةً!! ويزعُم بعضُ أصحاب الأخبار أنه قال: ما أَجْزَعُ من الموتِ، وآيةُ ذلك أَنِّي أَضْرِبُ برجلي اليُسْرَىٰ بعدَ القتل ثلاثاً. وهو باطلٌ موضوعٌ، ولكنْ سَأَل فَكَّ قيودِه، فَفُكَّتْ، فذلك حيث يقولُ[3]:

[ ٧٦٧ ] فإن تَقْتُلوني في الحَدِيدِ[4] فإنَّني قَتَلْتُ أخـاكم مُـطْلَقـاً لم يُقَيَّـدِ

***

قال أبو العباس: ووقَفَ جَبَّارُ[5] بنُ سَلْمَىٰ على قبرِ عامرِ بنِ الطُّفَيْل، ولم يكن حَضَرَهُ، فقال: أَنْعِمْ صباحاً أبَا عليّ! فوالله لقد كنتَ سريعاً إلى المولَىٰ بوَعْدكَ، بَطيئاً عنه بإيعادِكَ، ولقد كنتَ أَهْدَىٰ[6] من النَّجْمِ، وأَجْرَىٰ[7] من السَّيْلِ. ثم التفت إليهم فقال: كان ينبغي أن تَجْعَلُوا قبر أَبِي عليٍّ مِيلاً في مِيلٍ.

***

وذَكَرَ الجِرْمازِيُّ أَنَّ الأَحْنَفَ بنَ قَيْسٍ لما مات، وكان موتُه بالكوفة، مَشَىٰ

---

(١) في أ: ثم قال لابن زيادة.

(٢) في الأصل: وأحدَّ.

(٣) شعره ق ١٤ وحده ص ٨٤.

(٤) في س: في القيود.

(٥) جبار بفتح الجيم والباء المشددة المعجمة بواحدة بعدها ألف فراء مهملة، انظر «الإكمال ٢/٣٧. وهو جبّار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو ابن عم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر إلخ.

ووقع مصحفاً في جميع نسخ الكتاب: ففي الأصل و ف و ي: «حبّان» وفي ب و س و د و هـ و ظ: «حيّان»، وفي أ: «حبّار».

(٦) في الأصل: أَسْرَى، وبهامشه كما في المتن.

(٧) في الأصل و هـ و ي: «وأجرأ». وكلاهما يقال، انظر الدرة الفاخرة ١/١١٦.

مُصْعَبُ بنُ الزُّبير[1] في جِنَازته بغير رِداءٍ، وقال: اليومَ ماتَ سيدُ العربِ، فلمَّا دُفِنَ قامتِ آمرأةٌ على قبره، أَحْسِبُها من بني مِنْقَرٍ، فقالت: لله دَرُّكَ من مُجَنٍّ في جَنَنٍ[2]، ومُدْرَجٍ في كَفَنٍ، فنسألُ الذي فَجَعَنا بموتِكَ[3]، وآبتلاَنَا بفَقْدِكَ، أنْ يَجْعَلَ سبيلَ الخيرِ سبيلَكَ، ودَليلَ الخيرِ دليلَكَ، وأن يُوَسِّعَ لك في قبرِكَ، ويغفرَ لك يومَ حَشْرِكَ، فوالله لقد كنتَ في المحافِلِ شريفاً، وعلى الأرامِلِ عطُوفاً، ولقد كنتَ في الحَيِّ مُسَوَّداً، وإلى الخليفةِ مُوَفَّدَا، ولقد كانوا لقولِكَ مستمعينَ، ولرأيك مُتَّبِعِينَ، قال: فقال الناسُ: ما سَمِعْنا كلامَ امرأةٍ أَبْلَغَ ولا أَصْدَقَ[4].

***

ووقفَ رجلٌ على قبر النَّجَاشِيِّ [قال أبو الحسن[5]: هو النَّجاشِيُّ الشَّاعِرُ] فَتَرَحَّمَ وقال: لولا أنَّ القولَ لا يُحيطُ بما فيكَ، والوصفَ يَقْصُرُ دونَك، لأَطْنَبْتُ، بل لأَسْهَبْتُ، ثم عَقَرَ نَاقتَه على قبره، وقال:

عقرتُ على قبرِ النَّجَاشِيِّ نَاقَتِي ... بأَبْيَضَ عَضْبٍ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ
على قَبْرِ مَنْ لو أنَّني مُتُّ قَبْلَه ... لهانَتْ عليه عندَ قبرِي رَوَاحِلُهْ

***

ورَوَى آبنُ دَأْبٍ أنَّ حَسَّانَ بنَ ثابتٍ[6] اجتازَ بقبرِ رَبِيعَةَ بنِ مُكَدَّمٍ

---

(١) في أ و ب: المصعب بن الزبير. و«ابن الزبير» ليس في س و د و ي و هـ وفيها: المصعب.

(٢) بهامش أ ما نصّه: «ابن شاذان: يقال: جَنَّ الشيءَ وأجنَّه: إذا ستره، وبه سُمّي الجنين؛ لأنَّ البطن جَنَّهُ، وبه سُمّي القبرُ الجَنَنَ، وبه سمي القلب الجَنَانَ وبه سُمّي جنُّ الأرض».

(٣) في أ و هـ وهامش الأصل: «بوجهك». وعليه بهامش الأصل «ع» يعني رواية أبي عليّ.

(٤) في هـ: ولا أصدق منه. وفي أ: ولا أصدق معنى منها.

(٥) قول أبي الحسن من هامش الأصل نقله عن حاشية نسخة ابن الإفليلي.

(٦) زاد في أ: الأنصاري.

فأنشدَ[1] :

[٧٦٨] لا يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةُ بنُ مُكَدَّمٍ ... وسَقَى الغَوادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ
نَفَرَتْ قَلُوصِي من حِجارة حَرَّةٍ ... نُصِبَتْ على طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهُوبِ
لا تَنْفُرِي يا نَاقُ منه فإنَّه ... شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ[2]
لولاَ السَّفَارُ وطولُ قَفْرٍ مَهْمَهٍ[3] ... لتركتُها تَحبُو على العُرْقُوبِ [٢/٢٩٦]
نِعْمَ الفَتَى أَدَّى نُبَيْشَةُ بَزَّهُ[4] ... يومَ الكَدِيدِ نُبَيْشَةُ بنُ حَبِيبِ

و«رَبِيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ» رجلٌ من بني كِنَانَةَ، وكان قَتَله أُهْبَانُ بنُ غَادِيَةَ الخُزَاعِيُّ، وقَيْسٌ تقول: قَتَله نُبَيْشَةُ بنُ حَبِيبٍ السُّلَمِيُّ، وكان أُهبانُ أخا نُبَيْشَةَ لأُمِّه، وكان أتاه زائراً، وأغارَ[5] ربيعةُ بنُ مُكَدَّم على بني سُلَيم، فخرج أُهبانُ مع أخيه،

---

(١) ديوانه ق ٢٥٣ /٣، ١، ٢، ٤ ص ٣٦٤ وليس فيه البيت الخامس. وسيأتي الأول ص ١٤٨٤.

وهذه الأبيات متنازعة، فتروى لحسان، وتروى لحفص بن الأَحْيَف الفهري الكناني ولابنه بَكْرَز، وتروى لضرار بن الخطاب الفهري، وعن ابن سلام الصحيح أنها لعمرو بن شقيق الفهري، انظر الأغاني ١٦/ ٥٥، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٩٠٥، والحماسة البصرية ١/ ٢٣١، والدرة الفاخرة ١/ ١٦٧ ـ ١٦٨، وجمهرة الأمثال ١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠، ومجمع الأمثال ١/ ٢٢١، ومعجم الشعراء ٣٦، ٤٣٨.

(٢) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: يقال: رجل مِسْعَرُ حَرْبٍ من قوم مَسَاعِيرَ: إذا كان يَسْعَرُها ويَشُبُّها».

(٣) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: المَهْمَهُ: القَفْرُ من الأرض، والجمع مَهامِهُ».

(٤) في أ: رَحْله. وفي د: أهدى نبيشة.

(٥) قال الشيخ المرصفي: «الذي رواه الأصبهاني في أغانيه [١٦/ ٥٦ ـ ٥٨] عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أنّ نبيشة بن حبيب خرج في ركب قومه غازياً يريد بني فراس رهط ربيعة، وكان نفر منهم قتلوا رجلين من بني سليم، فلقي ظعناً معهم ربيعة وأخوه الحارث، فقال الحارث: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم فذهب ربيعة إليهم ليعلم خبرهم، فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له ثم عطف عليه فقتله، وتبعه نبيشة فطعنه فلحق بالظعن وهو يستدمي، فشدت أمه عليه عصابة ثم كرّ راجعاً يشتد على القوم وينزفه الدم، وكان قد قال للظعن: أوضعن ركابكن حتى تنتهين إلى أدنى البيوت من الحي فإني سأعتمد على رحي فلا يقدمون عليكن لمكاني، ففعل حتى بلغن مأمنهن، فقال نبيشة: إنه لمائل العنق وما أظنه إلا قد مات، فأمر رجلاً من خزاعة أن يرمي فرسه فرماها فقمصت فخر ميتاً. قال أبو عمرو: ولا نعلم قتيلاً أو ميتاً حمى الأظعان غيره، وإنه يومئذٍ لغلام له ذؤابة، فانصرف القوم عنه وقد ألقوا عليه الأحجار. قال أبو عبيدة: وقتل يومئذٍ الحارث بن مكدم. =

فحَمَلَ عليه فقتَله، وحملَ أخو رَبيعة على أُهبانَ ففاتَه، فَلِأَنَّهُ في بني سُلَيْمٍ قال حسان:

نَفَرَتْ قَلُوصِي من حِجَارَةِ حَرَّةٍ

لأنَّ الحرةَ هناكَ لبني سُلَيْمٍ، وفي تَصْداقِ ما تَدَّعِيهِ خُزاعة يقولُ أُهبانُ[1]:

ولقد طَعَنْتُ رَبيعةَ بنَ مُكَدَّمٍ يومَ الكَدِيدِ فَخرَّ غيرَ مُوَسَّدِ
في عارِضٍ شَرِقٍ بَنَاتُ فُؤادِهِ منه بأَحْمَرَ كالنَّقِيعِ المجْسَدِ[2]
ولقد وَهَبْتُ سِلاحَهُ وجَوادَهُ لأَخِي نُبَيْشَةَ قبلَ لَوْمِ الحُسَّدِ

وقال أَخُو ربيعةَ يجيبُه:

فات آبن غادِيَةَ المَنِيَّةَ بعدَ ما رَفَّعْتُ أسفلَ ذَيْلِهِ بالمِطْرَدِ[3]
قُلْ لِابْنِ غَادِيَةَ المُتَاحِ لقَتْلِنَا ما كان يَقْتُلُنا الوَحِيدُ المُفْرَدُ

يريدُ أنَّ أُهْبَانَ مُفْرَدٌ من قومه في أخوالِه، وقال أيضاً:

فإنْ تَذْهَبْ سُلَيْمُ بوِتْرِ قَوْمِي فَأَسْلَمُ مِنْ مَنَازِلِنا قَرِيبُ [٧٦٩]

***

---

= والكديد ذكر ياقوت في معجمه [٤/٤٤٢] أنه موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة» رغبة الأمل ٨/٢٤٥.

(١) البيتان الأول والثاني في الأغاني ١٦/٧٧، والأول والثالث في جمهرة الأمثال ١/٤١٠.

(٢) الرواية في الأغاني:

في ناقع شرقت بما في جوفه منه بأحمر كالعقيق المجسد

وقال الشيخ المرصفي: «في عارض، هذا تحريف من الناسخ، صوابه: في عانِدٍ، يريد: طعنته في عرق عاند، وهو الذي لا يرقأ دمه» رغبة الأمل ٨/٢٤٦.

قلت: قوله: «في عارض» كذا هو في النسخ جميعاً، ورواية الأغاني «في ناقع»، ولم يذكر الشيخ المرصفي لما ذهب إليه مصدراً وإن كان صحيحاً، ورواية «في عارض» ليست بتلك.

وفي هـ: «شرقت». وفي غير أ و س و هـ: «نباتُ فؤاده» وهو تحريف.

(٣) المطرد رمح قصير يطارد به الفارس.

وقالت لَيْلَىٰ الأَخْيَلِيَّةُ[1]:

آلَيْتُ أَبْكِي بعـدَ تَـوْبـةَ هـالكـاً ... وأُخْفِـلُ مَنْ دارَتْ عليه الـدَّوَائِـرَ
لَعَمْرُكَ ما بِالموت عارٌ عَلَى الفَتَىٰ ... إذا لم تُصِبْـهُ في الحياةِ المَعَـايِـرُ
فـلا يُبْعِـدَنْـكَ اللهُ يـا تَوْبَ إنَّمـا ... لِقـاءُ المَنـايَـا دَارِعـاً مثـلُ حَـاسِـرِ

ويُرْوَىٰ:

فـلا يُبْعِدَنْـكَ اللهُ يا تَـوْبَ هـالكـاً ... أَخَا الحربِ إنْ دارتْ عليه الدَّوَائِرُ[2]
فكُـلُّ جَـديـدٍ أو شَبـابٍ إلى بِـلًى ... وكـلُّ امْرىءٍ يـوماً إلى الله صـائِـرُ

***

وذَكَرَ المدائِنِيُّ أنَّ رجلًا عَزَّىٰ رجلًا أَفْرَطَ عليه الجَزَعُ على ابنه فقال: يا هذا سُرِرْتَ به وهو حُزْنٌ وفِتْنَةٌ، وَجزِعْتَ عليه وهو صَلَاةٌ ورحمةٌ، فَسُرِّيَ عنه.

ويُرْوَىٰ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تَعَزَّوْا عن مصائِبكم بي»[3].

وقال رجلٌ لابنِ عمرَ: أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ، فقال: نَسْأَلُ اللهَ العافيةَ! معناه أنه لما قال له: «أعظم اللهُ أجـرَكَ» إنما دَعَا بأن[4] يَكْثُرَ ما يُؤْجَرُ عليه، ودلَّ على أنَّه من باب المصائب تَعْزِيَتُهُ إيَّاه!

---

(١) ديوانها ق ١١/١، ٢، ٩، ٧ ص ٦٤ ـ ٦٥، والتعازي والمراثي ٧٣.

(٢) كذا وقع، وهو وهمٌ فقولها نلا يبعدنك × حاسر من كلمتها التي مطلعها نظرتُ وركن من بوانة دوننا × ناظرِ السالفِ بعضها ١٤٠٧، وانظر الأغاني ١١/٢٢٦، ورغبة الأمل ٥/٢٢٠. وإنما وقع الاختلاف في رواية صدر البيت، فقد رواه صاحب الأغاني ١١/٢٣٤:

فـلا يـبـعـدنـك الله حـيًـا ومـيـتـاً ... أخـا الحـرب إن دارت عليـك الـدوائـرُ

ثم قال: ويروى

فـلا يبعـدنـك الله يـا تـوب هـالكـاً ... .....

وانظر رغبة الأمل ٨/٢٤٧

(٣) أخرج ابن ماجه في الجنائز برقم ١٥٩٩ من حديث عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس، أ أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإنّ أحداً م أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي».

(٤) في الأصل: دعا أن.